وقد أومأ قوله تعالى (من يقول آمنا باﷲ) إلى أن إيمان هؤلاء لم يرسخ في قلوبهم وأومأ قوله (جعل فتنة الناس كعذاب اﷲ) إلى أن هذا الفريق معذبون بعذاب اﷲ وأومأ قوله : (فليعلمن اﷲ الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) إلى أنهم منافقون يبطنون الكفر فلا جرم أنهم من الفريق الذين قال اﷲ تعالى فيهم (ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من اﷲ) وأنهم غير الفريق الذين استثنى اﷲ تعالى بقوله (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) .

فليس بين هذه الآية وآيات أواخر سورة النحل اختلاف كما قد يتوهم من سكوت المفسرين عن بيان الأحكام المستنبطة من هذه الآية مع ذكرهم الإحكام المستنبطة من آيات سورة النحل .

وحرف الظرفية من قوله (أوذي في اﷲ) مستعمل في معنى التعليل كاللام أي أوذي لأجل اﷲ أي لأجل اتباع ما دعاه اﷲ إليه .

وقوله (جعل فتنة الناس كعذاب اﷲ) يريد جعلها مساوية لعذاب اﷲ كما هو مقتضى أصل التشبيه فهؤلاء إن كانوا قد اعتقدوا البعث والجزاء فمعنى هذا الجعل : أنهم سووا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة كما هو ظاهر التشبيه فتوقوا فتنة الناس وأهملوا جانب عذاب اﷲ فلم يكترثوا به إعمالا لما هو عاجل ونبذا للآجل وكان الأحق بهم أن يجعلوا عذاب اﷲ أعظم من أذى الناس وإن كانوا نبذوا اعتقاد البعث تبعا لنبذهم الإيمان فمعنى الجعل : أنهم جعلوه كعذاب اﷲ عند المؤمنين الذين يؤمنون بالجزاء .

فالخبر من قوله (ومن الناس) إلى قوله (كعذاب اﷲ) مكنى به عن الذم والاستحماق على كلا الاحتمالين وإن كان الذم متفاوتا .

وبين اﷲ تعالى نيتهم في إظهارهم الإسلام بأنهم جعلوا إظهار الإسلام عدة لما يتوقع من نصر المسلمين بأخارة فيجدون نفسهم متعرضين لفوائد ذلك النصر وهذا يدل على أن هذه الآية نزلت بقرب الهجرة من مكة حين دخل الناس في الإسلام وكان أمره في ازدياد .

A E للقسم الموطئة باللام (ليقولن ربك من نصر جاء ولئن) قوله في الشرط جملة وتأكيد لتحقيق حصول الجواب عند حصول الشرط وهو يقتضي تحقيق وقوع الأمرين . ففيه وعد بأن اﷲ تعالى ناصر المسلمين وأن المنافقين قائلون ذلك حينئذ ولعل ذلك حصل يوم فتح مكة فقال ذلك من كان حيا من هذا الفريق وهو قول يريدون به نيل رتبة السابقية في الإسلام . وذكر أهل التاريخ أن الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وسهيل بن عمرو وجماعة من وجوه العرب كانوا على باب عمر ينتظرون الإذن لهم وكان على الباب بلال وسلمان وعمار بن ياسر فخرج إذن عمر أن يدخل سلمان وبلال وعمار فتمعرت وجوه البقية فقال لهم سهيل بن عمرو : (لم تتمعر

وجوهكم دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر) .

وقوله (أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) تذييل والواو اعتراضية والاستفهام إنكاري إنكارا عليهم قولهم (آمنا بالله) وقولهم (إنا كنا معكم) لأنهم قالوا ذلك ظنا منهم أن يروج كذبهم ونفاقهم على رسول الله فكان الإنكار عليهم متضمنا أنهم كاذبون في قوليهم المذكورين .

والخطاب موجه للنبي A لقصد إسماعهم هذا الخطاب فإنهم يحضرون مجالس النبي والمؤمنين ويستمعون ما ينزل من القرآن وما يتلى منه بعد نزوله فيشعرون أن الله مطلع على ضمائرهم .

ويجوز أن يكون الاستفهام تقريريا وجه الله به الخطاب للنبي A في صورة التقرير بما أنعم الله به عليه من إنبائه بأحوال الملتبسين بالنفاق . وهذا الأسلوب شائع في الاستفهام التقريري وكثيرا ما يلتبس بالإنكاري ولا يفرق بينهما إلا المقام أي فلا تصدق مقالهم .

والتفضيل في قوله (بأعلم) مراعى فيه علم بعض المسلمين ببعض ما في صدور هؤلاء المنافقين ممن أوتوا فراسة وصدق نظر . ولك أن تجعل اسم التفضيل مسلوب المفاضلة أي أليس الله عالما علما تفصيليا لا تخفى عليه خافية .

(وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين [11])